الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم.

أما بعد: عباد الله! اتقوا الله حق التقوىٰ، تسعدوا بالنعم وتدفع عنكم كل بلوىٰ، واعلموا -وفقكم الله- أن ما يعيشه العبد من المحن والابتلاء، ومن النعم والسراء، إنما هو زاد يحرثه ويسقيه ويرعىٰ شؤونه في الدنيا ليحصده في الآخرة، فحري بالعبد أن يتعرف علىٰ البلاء وأنواعه وأسبابه وحكمه وسبل دفعه ليعالج واقعه، ويصحح مسيرته، ويقيم خطواته فإلىٰ المنتهىٰ، يوم تبلىٰ السرائر فماله من قوة ولا ناصر.

والابتلاء أمة التوحيد مُشتق من لفظ البلاء، وهو عند أهل اللغة يطلق علىٰ نوع من الاختبار والتكليف المقترن بالمشقة في بعض الأحيان، وقد جعل الله عز وجل الدنيا دارا للابتلاء، وساحة للاختبار، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَىٰ الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾، وقال جل في علاه: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًىٰ كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ.

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

والابتلاء -أمة الإسلام -يكون بالخير والشر، وأكثر محل الغفلة من العباد تحصل عند الابتلاء بالخير والسراء أكثر مما تحصل عند الابتلاء بالضراء؛ حيث يتجرع العبد الضراء فلا حتىٰ لا يكاد يصبر عليها، فتضيق عليه الأرض بما رحبت فلا يجد إلا سبيل الله مخلصا، فيقبل عليه بكل وجل وضراعة.

والله عز وجل لا يبتلي عباده حين يبتليهم فرحا بمعاناتهم وألمهم، وإنما يبتليهم إذا ابتلاهم لحكم وأسباب قد استشف العلماء بعضها من نصوص الكتاب والسنة وغاب عنهم الكثير منها، ومن هذه

الحكم التي بينها أهل العلم: تقوية إيمان العبد بالقضاء والقدر، قال تعالىٰ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.

ومن حكم الابتلاء تحميص الأخيار الصادقين وتمكينهم في الأرض، ولا شك أن الرخاء بعد الشدة والبلاء أكثر عمقا وأعظم أثرا في النفوس لاستشعار النعمة والتلذذ بها من الرخاء بعد الرخاء، قال تعالىٰ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، قيل للشافعي -رحمه الله- (يا أبا عبد الله! أيهما أفضل للرجل؟ أن يُمكن، أو يبتلىٰ (أي بالضراء)؟ فقال -رحمه الله-: (لا يُمكّن حتىٰ يبتلىٰ، فإن الله ابتلىٰ نوحا وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمدا عليهم الصلاة والسلام أجمعين، فلما صبروا علىٰ الابتلاء مكنهم) اهـ. قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

والعبد في هذا المقام ينبغي له أن يكون بين الرجاء والخوف، وبين المراقبة والمحاسبة، فليس كل بلاء نازل يدل علىٰ صلاح صاحبه، وصواب توجهه نحو التمكين الموعود للصابرين، فقد يكون البلاء نوعا من العقوبة العاجلة في الدنيا نتيجة اقتراف الفسوق والعصيان فينزل الله بهم البلاء زجرا وردعا، كما قال جل في علاه: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، عباد الله:

يقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: (يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّىٰ يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ).

يقول ابن القيم -رحمه الله- في الجواب الكافي: (فعياذا بك اللهم من مخالفة أمرك، وارتكاب نهيك، وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتىٰ علا الماء فوق رأس الجبال، وما الذي سلط الريح العقيم علىٰ قوم عاد، حتىٰ ألقتهم موتي علىٰ وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم، حتىٰ صاروا عبرة للأمم إلىٰ يوم القيامة، وما الذي أرسل علىٰ قوم ثمود الصيحة حتي قطعت قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخرهم، وما الذي رفع قرىٰ اللوطية حتىٰ سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكم جميعا، ثم أتبعهم حجارة من سجيل، السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه علي أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد، وما الذي أرسل علىٰ قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارا تلظىٰ، وما الذىٰ أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نقلت أرواحهم إلىٰ

جهنم، فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق، وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله، وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميرا، وما الذي أهلك قوم صــاحب يس بالصــيحة حتي خمدوا عن آخرهم، وما الذي بعث علىٰ بنىٰ إسرائيل قوما أولىٰ بأس شديد فجاسوا خلال الديار، وقتلوا الرجال، وســبوا الذراري والنســاء، وأحرقوا الديار ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية، فأهلكوا ما قدروا عليه، وتبروا ما علو تتبيرا، وما الذي ســلط عليهم بأنواع العذاب والعقوبات مرة بالقتل والســبي وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير ، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالىٰ ليبعثن عليهم إلىٰ يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب).

هذا وصــلُّوا وســلِّموا – رعاكم الله – علىٰ محمد بن عبد الله كما أمركم الله بذلك في كتابه فقال : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَــلُّونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَــلُّوا عَلَيْهِ وَسَــلِّمُوا تَسْــلِيمًا﴾، وقال صــلىٰ الله عليه وسلم: (مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلاةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا) .

اللهم صلِّ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آل محمد كما صلَّيت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد. وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، الأئمة المهديين؛ أبي بكرٍ الصديق، وعمرَ الفاروق، وعثمان ذي النورين ، وأبي الحسنين علي . وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وعنَّا معهم بمنِّك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.